

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[47] ثمّ تشير إلى واحدة من النعم المعنوية المهمّة، فتقول: (وواعدناكم جانب الطور الأيمن)، وهذه إشارة إلى حادثة زهاب موسى (عليه السلام) مع جماعة من بني إسرائيل إلى مكان ميّعدهم في الطور، ففي ذلك المكان أنزل القرآن سبحانه ألواح التوراة على موسى وكلّهم، وشاهدوا جميعاً تجلّي القرآن سبحانه (1). وأخيراً أشارت إلى نعمة ماديّة مهمّة من نعم القرآن الخاصّة ببني إسرائيل، فتقول: (ونزّلنا عليكم المنّ والسلوى) ففي تلك الصحراء كنتم حيارى، ولم يكن عندكم شيء من الطعام المناسب، فأدرّكم لطف القرآن، ورزقكم من الطعام الطيّب اللذيذ ما كنتم بأمرّ الحاجة إليه. وللمفسّرين بحوث كثيرة فيما هو المراد من (المنّ والسلوى)، بيّناها في ذيل الآية (57) من سورة البقرة، بعد ذكر آراء المفسّرين الآخرين وقلنا: إنّّه ليس من البعيد أن يكون "المنّ" نوعاً من العسل الطبيعي كان موجوداً في الجبال المجاورة لتلك الصحراء، أو نوعاً من السكريات المولدة للطاقة من نباتات خاصّة كانت تنمو في أطراف تلك الصحراء. والسلوى نوع من الطيور المحلّلة اللحم شبيهاً بالحمام. ولمزيد التوضيح راجع تفسير الآية (57) من سورة البقرة. ثمّ تخاطبهم الآية التالية بعد ذكر هذه النعم الثلاث العظيمة، فتقول (كلوا من طيّبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه). الطغيان في النعمة هو أن يتخذ الإنسان هذه النعم وسيلة للذنب والجود والكفران والتمرّد والعصيان، بدل أن يستغلّها في طاعة القرآن وسعادته، تماماً كما فعل بنو إسرائيل حيث تمتّعوا بكلّ هذه النعم ثمّ ساروا في طريق الكفر والطغيان والمعصية. ولذلك حذّرهم الآية بعد ذلك فقالت: (فيحلّ عليكم غضبي ومن يحلل _____ 1 - الشرح المفصّل لهذه الحادثة في سورة الأعراف ذيل الآيتين 155 - 156.